جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والادب العربي

مقياس: مناهج البحث اللغوي.

السنة الأولى ماستر/ لسانيات. الأستاذ خيار نورالدين.

المحاضرة الثالثة: المنهج التداولي. في المفهوم و في المنهج.

عند الغرب:

إن أول ما ظهر مصطلح التداولية الذي يعرفه الغرب بـ: " pragmatique" في سنة 1938على يد الفيلسوف الأمريكي "شارل ويليام مورنيس Charles William Morris" في مقال كتبه لموسوعة علمية يحدد فيها مختلف الطرق (أو العلوم) التي تعالج اللغة وهي علم التركيب المتمثل في علم النحو الذي يتوقف عند دراسة العلاقة بين الوحدات اللغوية، علم الدلالة الذي يعالج الدلالة اللغوية، أي علاقة الأدلة بما تحيل عليه في الواقع، و أخيرا التداولية التي تهتم بالعلاقات القائمة بين الأدلة و مستعمليها. و بالنسبة له كانت التداولية محددة بدراسة الضمائر (الشخص الأول و الثاني)، و دراسة ظروف المكان و الزمان (هنا، الآن)، و كل التعابير التي تستمد دلالتها من معطيات خارجة جزئيا عن اللغة نفسها. أي انه يدرس الحالة التي تنتج فيها عملية التواصل[1].

---

[1] ينظر: ص: 26- 27 Anne reboul- Jacques Moeschler : la pragmatique aujourd'hui

و أيضا: 41-30 et 5: Françoise Armengand : la pragmatique . PUF 1993 3éd.p

و أيضا:ص 65: Dominique mainguenneau : les termes clés de l'analyse du discours

ثم يأتي بعده (Carnap) كارناب (1942) "الذي يقترح تعريف ثلاث أبعاد للبحث السيميولوجي فيقول: " إذا أحلنا في بحث ما عن الذات المتكلمة بشكل ظاهر أو أحلنا على العموم، على المستعمل للسان، فإن هذا البحث ينتسب إلى ميدان التداولية... و إذا غضضنا الطرف عن مستعمل اللسان محللين التعابير و ما تعنيه لا غير، فإن الحقل الذي نحن فيه هو حقل علم الدلالة، و إذا غضضنا الطرف أخيرا عن المعينات محللين العلاقات بين التعابير لا غير، فإن الحقل الذي نحن فيه هو حقل التركيب المنطقي"[1].

من خلال التعريفين نلاحظ أن التداولية تشير إلى مكون من مكونات اللغة إلى جانب المكونين التركيبي و الدلالي، حيث أن هذا المكون التداولي تدرج فيه العلاقات التي تربط الدوال بمستعمليها و بظروف استعمالها و آثار هذا الاستعمال على البنى اللغوية.

و قد تولدت التداولية من مجموعة من النظريات التي نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات، و متفقة من حيث أن اللغة هي نشاط يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد فيمكن للتيار التداولي في اللسانيات أن يكون مرتبطا بعناصر ليست بالضرورة لسانية فيمكن أن تكون عناصر سيميائية، أو منطقية أو حتى فلسفية.

فمن المنظور السيميائي تعتبر التداولية كدراسة للإشارات في مجال استعمالها، مستفيدة في ذلك بمجالي: التراكيب في دراستها للعلاقات بين الإشارات، و الدلالة في دراسته للعلاقة التي تربط بين الإشارة و مدلولها.

أما من المنظور المنطقي، فتتجلى التداولية خاصة في دراستها للغات الصورية.

---

[1] حميد الحميداني و آخرون: الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة(كتاب مترجم لصاحبه: مارسيلود اسكال) منشورات افريقيا الشرق– الدار البيضاء، د.ط، 1987، ص 23.

أما من المنظور الفلسفي: ففي نطاق الفلسفة التحليلية الأنجلوساكسونية ازدهر تيار عرف بفلسفة اللغة اليومية() و هو تيار مرتبط بوصف شروط استعمال اللغة وفق ظروف معينة(عند أوستين سيرل، شتراوسن) و بفضل هذه التداولية الفلسفية، ازدهرت و نمت التداولية اللسانية، التي تهتم عموما بدراسة عبارات اللغة سواء أكانت إشارات أم ملفوظات و علاقتها بالاستعمال المتداول بين الملقي و المتلقي[1].

و من المنظرين الغرب و المشتغلين خاصة في مجال تحليل الخطاب، نجد "دومينيك منغنّو" الذي كانت له إسهامات كثيرة في مجال الدراسة التداولية للخطاب و ذلك من خلال العديد من المؤلفات.

يرى "منغنو" أن حصر مفهوم التداولية يبدو صعبا خاصة عن تلاقي عدة تصورات من مصادر متشعبة، فمن جهة يبدو أن التداولية لم تكتسح العلوم الإنسانية إلا مؤخرا، ومن جهة أخرى فالتداولية تعنى باستدعاء اعتبارات حول اللغة، جد قديمة، و يشير كذلك إلى أن منذ بروز التفكير اللغوي في اليونان لوحظ نوع من الاهتمام الكبير لما يتعلق بنجاعة الخطاب في المقام(discours en situation) و يضيف "منغو" أن البلاغة، ودراسة القوة الإقناعية للخطاب، يسجلان كلية في المجال الذي تكتسحه الآن التداولية[2]، و يخلص إلى أن التداولية هي دراسة اللغة من خلال السياق الذي وردت فيه (أي المقام)[3].

---

[1] ينظر:

Catherine Fuchs et Pierre le Goffic : les linguistiques contemporaines- repères théoriques n=elle édition 1992

Hachette supérieure. P : 135- 136.

[2] ينظر: D. maingueuneau : pragmatique pour le discours littéraire, Dumad, paris, 1997, p :1 et 3

[3] ينظر: D. maingueuneau : pragmatique pour le discours littéraire, Dumad, paris, 1997, p :1 et 3

و الفكرة الأساسية التي يدافع عنها أنصار التحليل التداولي، هي أنه من المتعذر تفسير مفهوم المعنى اللغوي تفسيرا بدون الإحالة على مقام التواصل، و هو على علم معاني العبارات اللغوية يتحدد بنسق من القواعد التركيبية، و الدلالية، إلا أنهم يؤكدون أن طبيعة هذه القواعد لا يمكن فهمها إلا إذا استُعمل مفهوم القصد التواصلي الموجه نحو المستمعين، و هذا يدعو إلى التأكيد على أن الوظيفة التواصلية خاصية جوهرية للغة وهي بذلك تكون وظيفة محددة لما يتعلق بقانون القواعد و الوحدات اللسانية.

و إلى هذا يشير "منغو" حيث يقول: "التصور التداولي يتعارض جذريا مع الفكرة القائلة بأن اللغة آلة (instrument) لنقل و توصيل المعلومات، فالتداولية من الأولويات التي تجعلها في مقدمة نشاطاتها هو الطابع التفاعلي للممارسة اللغوية كما أنها تصحح، و تصوب مجمل حالة التلفظ...إلخ و أشياء أخرى تصب كلها في مجال تحليل الخطاب"[1].

فمن المهمات الأساسية للتداولية هي إبراز النشاط التفاعلي للغة، و بالأخص التفاعل في الحديث، و لكي نتحدث عن تفاعل موفق يجب أن تتحقق سلسلة من الشروط الاجتماعية والإدراكية، و أن يتحدد الحديث بقيود زمانية و مكانية محددة. و يتوقف إلى حد ما على الأحداث المترابطة، فهذه الشروط العامة للتفاعل لها أهمية من الناحية الاجتماعية، و من ناحية اكتساب معرفة عامة بالنسبة للأشخاص المتحدثين الذين لديهم سلسلة من الحقوق و الواجبات المتبادلة التي تبرزها أو تحددها أحداث التفاعل.

أما " فان ديك. Teun A. Van Dijk" فيرى أن البراغماتية (مصطلح يوظفه المترجم وهو ترجمة حرفية للمصطلح الأجنبي pragmatique) بوصفها علما تختص بتحليل الأفعال الكلامية و وظائف منطوقات لغوية، و سماتها في عملية الاتصال بوجه

---

[1] ينظر: ص 21 : D. Maingueunneau : nouvelles tendances en analyse de discours, éd Hachette, 1987

عام، و هي علم بدأ تطوره على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة، له خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى، وقد حفزته علوم الفلسفة، و اللغة و الأنثروبولوجيا بل و علم النفس و الاجتماع أيضا[1].

فهي علم يتضمن أساسا القيام بدراسة مقاصد الخطاب و أعراضه التواصلية والتفاعلية والتأثيرية، شأنها في ذلك شأن محلل الخطاب الذي يسعى إلى معالجة مادته اللغوية بوصفها مدونة أو نصا لعملية حركية استعملت فيها اللغة كأداة توصيلية في سياق معين من قبل المتكلم أو الكاتب للتعبير عن معان و تحقيق مقاصد الخطاب[2] والأغراض التي يرمي إليها.

و تكمن وظيفة التداولية كما ذهبت إلى ذلك "أركيوني": "في استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية: المرسل- المتلقي- والوضعية التبليغية، إن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة"[3].

فهي تركز على الضمنيات التحادثية (les implicites conversationnelles) في مجال التحليل التداولي التي تقوم أساسا على فهم السياق اللغوي و غير الغوي من أجل تقديم افتراضات و تأويلات صحيحة عن معاني الجمل و النصوص، و الخطابات بشكل أوسع.

---

[1] فان ديك: علم النفس: مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة و تعليق: د. سعيد حسين بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص 114.

[2] ج. يول و ج.ب. براون: تحليل الخطاب، ترجمة و تعليق: د. منير التزيفي و د. مصطفى لطفي الزليطي، ص 33.

[3] أركيوني(C.K. Orechioni)

Enonciation de la subjectivité dans le langage, p: 185.

و تجدر الإشارة هنا إلى الدور الرئيسي للسياق المقامي في مجال تحقيق النمط التداولي للغة، و قد أضحى السياق (المقامي خاصة) عاملا مشتركا بين مختلف الاتجاهات التي تسعى لإرساء قواعد سليمة لنظرية جديدة هي التداولية.

و يحدد "فال– Vahle" المقام (situation) بقوله: " إنه مجموعة من العوامل التي يتعين على الفرد الاحتفال بها حتى يتوقف في إنجاز فعله اللغوي[1]" إلا أن درجة تدخل السياق المقامي في كل اتجاه هي التي تحدد مميزات اتجاه عن آخر، الشيء الذي أفضى إلى ظهور ثلاثة تيارات مختلفة و متداخلة في الوقت نفسه و التي تشكل النسق العام لما يسمى بالنظريات التداولية.

و يعد الهولاندي: ب. هانسون حسب ما تعترف به "ماري فراسنواز" أنه " أول من جرب التوحيد بطريقة نظامية، و تجزئة مختلف النظريات التي تطورت إلى حد الآن بطريقة مستقلة، فهو يميز ثلاث درجات للتداولية[2]" و يشير "هانسون" إلى الانتقال من درجة إلى أخرى إلى التطور التدريجي من مستوى إلى آخر، و عند كل مستوى يؤخذ قسم من السياق بعين الاعتبار، و يثرى السياق و يتعقد كلما حدث هذا الانتقال.

و تتدخل عوامل عديدة في تحديد سياق هذا النمط منها الاجتماعية و الفردية والفعل اللغوي لا يتحقق فقط بالصيغ اللغوية الموضوعة له فهذا غير كاف –حسب هانسون دائما– لرفع الغموض و إظهار ما يحدث في أي حالة من حالات التواصل، كما أن وجود الأفعال اللغوية غير المباشرة يزيد الإشكال تعقيدا أكثر، و هذا حسب ما كتبه أشنال "Schnelle" منذ سنة 1973: "أن المقام هو الذي يحدد ما إذا كان القول المنجز يتسم

---

[1] جيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن(OPU–الجزائر 1992) ص: 40.

[2] ينظر ص: 47– 48 Françoise Armengand : la pragmatique PUF,Paris(1985) 3eme éd1993.

بطابع الجدية أو أنه مجرد حالة من العبث (une plaisanterie) أو ما إذا كنا بصدد نموذج يشكل إنذارا أو يشكل إصدار أمر"[1].

و يلاحظ أن مفهوم المقام في نطاق هذا النمط أكثر ثراء و توسعا منه في النمطين السابقين.

فمن خلال تلك الأنماط الثلاثة التي يقترحها "هانسون" في مجال التعريف بروافد التداولية، نستخلص أن التداولية نظرية استطاعت أن تجد لنفسها مكانا وسط زخم كبير من النظريات التي تدرس اللغة و انتاجاتها، كالبنوية، السيميائية، و الشكلانية، والأسلوبية و علم النفس...ذلك لأنها استفادت من كل هذه النظريات، و تقبلت عددا كبيرا من الأفكار ذات مستويات و مشارب مختلفة و متفاوتة، تداخلت و امتزجت بطريقة فوضوية، نتجت عنها إشكاليات عديدة يصعب حصرها و تنظيمها حتى أن بعضهم ينعتها بالمعنى الذي يفيده مصطلح "poubelle" و بعبارة أخرى ملتقى عدد من العلوم و النظريات أي سلة المهملات أو النفايات*.

و تجدر الإشارة هنا إلى أن معظم الاتجاهات التداولية المتناولة للخطاب أو الحديث نظرت جملة من الأهداف، و من التساؤلات و راحت تسعى إلى الإجابة عنها و هي أسئلة من قبيل " ماذا نفعل عندما نتكلم؟ ماذا نقول بالتحديد؟...من يتكلم ولمن؟ من يتكلم و مع من؟ ماذا يجب علينا معرفته من أجل إزالة الغموض الذي يكتنف القول؟ ما هي قيود الحديث؟ لماذا التلميح أبلغ من التصريح؟ ما هي الاستعمالات اللغوية؟ في أي مستوى تكون المعرفة و الواقع الإنساني يمكن تحديده عن طريق القدرات اللغوية؟"[2].

---

[1] انظر: F. Armengand : la pragmatique, p48

* هذا المصطلح توظفه أركيونيC.K. Oecchioni " و في نظرنا أنها تعني أن التداولية استجمعت مختلف النظريات السابقة و أقامت عليها أسسها التناظرية".

[2] فرانسوا أرميغو: F. Armengand

مثل هذه الأسئلة و غيرها، تستعين التداولية بالإجابة عنها و ذلك باستعانتها بالعلوم الإنسانية و الاجتماعية الأخرى. دون أن نغفل عن الدور الهام الذي يلعبه السياق المقامي، مثلما رأينا ذلك عند "هانسون" حيث أن مختلف التيارات التي تصب في التداولية (خاصة نظريات الحديث، و تحليل الخطاب، و نظرية أفعال الكلام، و الضمنيات التحادثية و النظرية الحجاجية) تسعى إلى إثبات و تثبيت العلاقة بين المتكلم و المقام المصاحب لكلامه.